Nady Al-Adab: Jurnal Bahasa Arab

Volume 22 Issue 3 November 2025
ISSN Print: 1693-8135 | ISSN Online: 2686-4231
Penerbit: **Departemen Sastra Asia Barat, Fakultas Ilmu Budaya, Universitas Hasanuddin**
Nationally Accredited Journal, Decree No. 200/M/KPT/2020
This Work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

التجربة الشعرية لدى أبوبكر أحمد أباجَي من خلال ديوانه "كأنها حروف شريدة"

Jamiu Saadullah Abdulkareem
University of Ilorin, Nigeria, Email: abdulkareem.js@unilorin.edu.ng

الملخص:

يتناول هذا المقال دراسة نقدية للتجربة الشعرية لدى الشاعر أبوبكر أحمد أباجَي من خلال ديوانه "كأنها حروف شريدة" حيث تحدث عن الحياة المادية والروحية، بواسطة الصنعة الفنية المشتملة على جودة الفكر وصدق العاطفة وروعة الخيال ووضوح الأسلوب ودلالة الموسيقى. وتكمن مشكلة البحث في الحقيقة أن ديوانه السالف الذكر لما ينل عناية الدارسين، على الرغم من احتوائه على القيم الفكرية واللغوية والفنية من حيث التعبير والشعور. وتتمثل أهداف البحث في إبراز الجودة الفكرية والملكة اللغوية والمقدرة الفنية التي أتيحت للشاعر، وتنقيب مدى استطاعة الشاعر لتوظيف تلك القيم في قصائد الديوان، وإصدار الحكم فيها على حساب نظرية التجربة الشعرية. واعتمدت الدراسة منهجين هما التاريخي والوصفي؛ فالمنهج التاريخي لتوثيق ترجمة حياة الشاعر والمنهج الوصفي لتقييم مظاهر التجربة الشعرية في قصائد الديوان. وتوصل البحث إلى بعض النتائج ومنها: تحقيق مقدرة الشاعر في قرض الشعر عن موضوعات الوجدان الروحي والمديح، والرحلة والاغتراب والحنين، والتعبير عن القضايا الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية والوطنية والدولية. وكذلك إقرار عاطفته الجياشة مع التطبيق المناسب للإيقاعات الموسيقية وأساليب الكلام الدلالية، وتصوير الأحداث والوقائع بالروعة والجودة. ويدل كل ذلك على احتواء الديوان على قِيَم التجربة الشعرية: الشعورية والتعبيرية، على أوضح تركيب وأقوى تصوير وأجمل تخييل. ويوصي البحث الدارسين اللاحقين بإعداد البحوث اللغوية لقصائد الديوان لتكملة الدراسات.

الكلمات المفتاحية: *التجربة الشعرية، أبوبكر أباجي، ديوان، حروف شريدة، دراسة وصفية*

Abstract

This research is a critical study of the poetic experience in Abubakar Ahmad Agbaje's divan titled "As If They Are Fugitive Letters". The research problem lies in the fact that the divan has not gained attention of the researchers, despite its noticed viable thematic and aesthetic values, while the previous works by researchers focused only on the other three collections of the poet. The main objectives of the research were to present the poetic experience explored by the poet, determine the level of the poet's literary

capability and evaluate the poetic experience therein, while addressing many personal and general issues relating to the physical and spiritual living, in terms of culture, socio-politics, nationality, globalization and religion. The methodology used was mainly the descriptive research design adopting the historical and descriptive methods for documenting the poet's biography and evaluating the poetic experience measures. Among the findings is affirmation of the poet's capability in the poetic creativity to a large extent, in line with the poetic experience requirements which include emotions, imaginations, styles and musicology. It is therefore recommended that the divan should be studied with linguistic measures for completion of the studies for literary productions.

***Keywords**: Poetic Experience, Abubakar Agbaje, Divan, Fugitive Letters, Descriptive Study.*

١. المقدمة

يصدق أن الأدب فنّ يصوّر الحياة ويعالج قضاياها من شتّى النّواحي: الثّقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، مما له علاقة وطيدة بالإنسانية، مع اقتضائه صياغة خاصة تُعنَى بتنظيم المادّة وتشكيل الهيئة؛ الأمر الذي يجعلها في جاحّة ماسّةٍ إلى اختيار الألفاظ الدّلالية، وتنسيق التّراكيب، وتوظيف الصّور البلاغيّة، واستخدام الإيقاعات الموسيقية المناسبة، لتُوحيَ بالمعاني الصّارمة والعواطف الجيّاشة والأخيلة الخصيبة. ولاشكّ أنّ الشعر هو الفنّ الرفيع الذي يستطيع حمل تلك الأعباء بدون انتقاض الظَّهر.

ومنذ أن نبغ الرَّعيل الأوّل من الشّعراء النّيجيريّين المحليّين أمثال الشيوخ: طاهر بن إبراهيم فِيرِمَّا، وعبد الله الثّقة، وعبد الله بن فودي، ومحمد بلّو، ومحمد البخاري، وقد تخرّجوا على أيدي عدد من العلماء الأجانب (الوناغرة والماليّين والمغاربة) الوافدين؛ فإنّ إنتاجات الشّعراء المحليّين محضُ محاكاةٍ للشّعر العربي القديم، الجاهليّ في التشكيل اللغوي، والإسلاميّ في المضمون المعنوي. ثمّ بدأ التّجديد في الأفكار والمعاني والأخيلة على أيدي شعراء القرن العشرين الميلادي ومنهم: الوزير جنيد، والقاضي عمر إبراهيم، والشيخ آدم عبد الله الإلوري. وقد حذا حذوَهم من يلونهم ويدعون إلى التّوسّط بين التقليد والحداثة وهم الأكاديميّون: هارون الرشيد، ومحمد الطاهر ليمان، وسمبو ولي جنيد، وعيسى ألبي أبوبكر.

ويعتبر الشاعر أبوبكر أحمد أباجَي من شباب الشعراء المعاصرين الذين لهم إنتاجات شعرية هائلة طابقت الآفاق، لا في نيجيريا فحسب، ولكن بامتداد إلى عامة غرب أفريقيا، ولم يزالوا في السنوات العشرينية من أعمارهم. وهذا الشاعر أبوبكر أحمد أباجَي له أربعة دواوين هي: "رمق غريب" و "على ظبات العشق" و "من عمق الضباب" و "كأنها حروف شريدة ". وقد تناول الباحثون السابقون دراسات لغوية وأدبية لأغراض مختارة من الدواوين الثلاثة الأولى، وبقي الديوان الأخير "كأنها حروف شريدة" بدون عناية الدارسين، على الرغم من تناوله عديدا من الموضوعات الشعرية التي تعرض تجربة الشاعر الشخصية عن الحياة المادية والروحية، الأمر الذي أدَّى إلى اختياره للبحث الحالي، بقصد الإطلال العام على التجربة الشعرية التي أتيحت للشاعر، وتحديد الموضوعات الرئيسية التي تناولها الشاعر بالصياغة، وتطبيق النظرية الراسخة للتجربة الشعرية، وعرض عناصر التجربة المتوفرة في بعض القصائد من الديوان، وتقييم الأساليب المستخدمة في نظم القصائد.

٢. منهج البحث

تم استعمال المنهج التاريخي لتوثيق الحقائق العلمية عن ترجمة حياة الشاعر وتنقيب القضايا التي سردها في الديوان. وتحتم استخدام المنهج الوصفي لعرض أفكار قصائد الديوان وتفصيل الجماليات العاطفية والخيالية والأسلوبية والموسيقية في الديوان لعلاقتها المباشرة بالصياغة التعبيرية والدلالة الشعورية.

٢,١. الدراسات السابقة

تراءى لبعض النقاد أن صنعة الشعر تصدر عن موهبة خاصة تجعل التمكن فيها مبتعدا عن التكلف والتصنع، يسبر بها الشاعر أغوار المعاني بطول نفَس وأجود تشخيص وأروع تجسيد، من خلال تجربته الفردية، وما استفاده من المعاني العامة في المجتمع والبِيئة والدين والمزاج والثقافة، حتى يُثير انفعالات متنوعة، ليُظهِر فرحا وسروراً، أو خوفاً وحزنا، أو أمنا واطمئنانا، مع تعمقه في استخدام اللغة الشعرية عن جوهر قِيَم نفسية.

ولعل حاجة الشاعر إلى النفسية الخاصة في تناول القضايا الفردية والعامة هي التي أدّت ببعض النقاد إلى قصر التجربة الشعرية على كونها تفسيراتٍ ميتافيزيقية مستندة إلى الإلهام والعبقرية أو شيطان الشعر (خلف، ٢٠١٥م: ص ١٥٧). وللتجربة أصلها بمعنى الاختبار مرة بعد أخرى، حتى ينتهي باختبار منظم لظاهرة، بملاحظة دقيقة ومنهجية صارمة، للكشف عن نتيجة أو تحقيق غرض معين (أنيس وآخرون، ١٩٧٢م: ص ١٣٥)، وهذا ما أدّى بنقَّاد آخرين إلى استنادهم في معنى التجربة الشعرية إلى الصنعة الفنية التي تتجلى بها صياغة الشعر وتنظيمه حتى يكتسب صفة الشعر وينتهي إلى العمودية (هلال، ١٩٨٧م: ص ٣٧٤)، والتي حددها المرزوقي في سبعة مبادئ هي: شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتآمها على تخيير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية حتى لا تحدث منافرة بينهما (عباس، ١٩٨٣م: ص ٤٠٥).

وبجمع الموفقين للنقاد من التجربة الميتافيزيقية والجماعية، يمكن تعريف التجربة الشعرية بكونها دفقة شعورية من الشاعر مارة على عقله، لتتم صياغتها أفكارا جميلة ممزوجة بالعاطفة الجياشة، مع تأثر الشاعر فيها بثقافته اللغوية وبراعته الفنية (أبو العينين، د.ت: ص ٣).

ولا شك في استعانة تلك الصناعة بمعلومات توردها ظروف وأحداث ومواقف يعيشها الشاعر أو يتخيلها، وينفعل بها، ويعبر عنها بترابط الوجدان مع الفكر فيها، والتفاعل معها، وتشكيل الرؤية منها (أبو العينين، د.ت: ص ٤).

وعلى ضوء ذلك كله يبدو أن التجربة الشعرية عبارة عن الصورة الكاملة للحالة النفسية والكونية التي يصورها الشاعر بعمق شعوره وإحساسه وإقناع ذاتي وإخلاص فني دون الاقتصار على مجرّد مهارته (هلال، ١٩٨٧م: ص ٣٧٣).

وهذا ما يجعل الشعراء يوظِّفون تجاربهم الشعرية في إظهار خبراتهم النفسية حين يقعون تحت سيطرة مؤثرة – ليخرج ينبوع الإبداع لديهم فيصوغوه في إطار الشعر؛ منفعلين بما يُقاسون من ظروف الحياة أو ما يؤنسهم من ملذاتها، فهي تدخل في جميع الحياة بلا حدود (بَودَوفُو، ٢٠٠٧م: ص ٢١).

وتحمل أسس التجربة الشعرية في تجربة الشاعر التي ليس من الضروري أن يعيشها بنفسه، بل قد ينفعل بها ويتأثر فيها بالفكرة والظروف حتى يظهر صدق تجربته، يليها الجودة الفنية التي تجعل القصيدة بناءً متكاملاً يشد بعضه بعضاً من خلال المراعاة على وحدة الموضوع ووحدة الجو النفسي بترابط العواطف والانفعالات والمشاعر، ثم تسلسل الأفكار وترابطها، لتستطيع كل فكرة جزئية أداءَ وظيفتها في بناء التجربة ويكون الانفعال من فكرة إلى أخرى طبعياً (مصطفى، ٢٠٢٣م: ص ٥٦ – ٥٧).

وتنوع التجربة الشعرية إلى الذاتية والعامة، فالذاتية هي التي تُنتِج قصائد الغزل والوصف والغربة والحنين، مما يعود إلى الأحاسيس الخاصة بالشاعر، بينما تعود العامة إلى قصائد الوطنية والشعبية والعالمية لتعالج القضايا العامة في الثقافة والدين والمجتمع والسياسة؛ فهي منتقلة من الأفق الذاتي إلى الإنساني الأرحب.

ويبعث التجربة الشعرية في الشاعر عدد من الأمور الملتصقة بحياته من السيرة، والطبع والأخلاق، والبِيئة والمجتمع. وتجمل أبعاد التجربة الشعرية في معايشة الشاعر لمعاناة المجتمع وآلامه، وبُعدُه عن الوطن مع الحنين إليه، ومحاولة التعبير عن تجارب الآخرين، والحقيقة السامية، وحوادث الخوف والحزن، والإعجاب بالمواد الواقعية والشخصيات المتميزة والروحانية، والانطباع الشخصي والإحساس الذاتي.

٣. مناقشة ونتائج البحث

٣,١. ترجمة حياة الشاعر أبوبكر أحمد أباجَي

يجدر بالمقال إقراره بأن أبابكر أحمد أباجي شاعر ومترجم ومدرس وباحث في اللغة والأدب والتاريخ. وقد وُلِدَ عام ١٩٩٨م، وأخذ مبادئ العلوم العربية الإسلامية بدهليز جدّه الشيخ أباجَي، ثم حصَّل علوم المرحلة المتوسطة بكلية دار السلام-أوفا بين ٢٠٠٨-٢٠١١م، وعلوم المرحلة الثانوية بالكلية نفسها بين ٢٠١١-٢٠١٦م. وحصل على بكالوريوس الأدب العربي بالجامعة الإسلامية-النيجر عام ٢٠٢٠م، وعلى ماجستير اللغة العربية وآدابها في جامعة ولاية بوتشي، غَطَو-نيجيريا بين ٢٠٢٣-٢٠٢٥م وماجستير التاريخ في معهد الدووحة للدراسات العليا بجامعة قطر بين ٢٠٢١-٢٠٢٣م. (أباجَي، ٢٠٢٥م: مقابلة شخصية).

ومن إنتاجاته الفنية دواوينه الأربعة التي نشرها عام ٢٠٢٤م وهي: كأنها حروف شديدة، ورمق غريب، وعلى ظبات العشق، ومن عمق الضباب. وله عضوبة شتى النوادي الأدبية في نيجيريا والنيجر، مع مشاركته الفعالة في المسابقات الشعرية في نيجيريا والنيجر وقطر (أباجَي، ٢٠٢٤م: ص ٩٠-٩١).

٣,٢. وعامل تكوين شاعريّة أبوبكر أحمد أباجَي

من المسلَّم به أنّ الإنسان لا يندفع اندفاعا واحدا، وإنّما ينطلق من ظروفٍ وملابساتٍ، ولا بدّ من تكوين بعض العوامل لشخصيته العلميّة والفنيّة؛ وهذا الشاعر أبوبكر أباجَي كوَّن شاعريَّتَه عواملُ خاصّة تعود إلى الجنس والبيئة والمزاج والثّقافة بتنوّع مجالاتها. فالعامل الجنسي لأصالة عِرقه من يَورُبا الّذين يولعون بحبّ العلم والمطالعة، والصّبر والتّضحية، وطلب الحريّة وحسن المعاملة، فتولّدت له من تلك الصّفات قوّة تفكيره ودقّة بحثه وملاءمة وضعه.

وأمّا العامل البيئي فمنه مسقط رأسه بلد أَوفا الحافل بالعلماء المحليّين والأكاديميّين، وفي ربوعه نشأ الشّاعر وترعرع، ثمّ كليّة دار السّلام الّتي أسّسها جدّه الشيخ أبوبكر أباجَي الراحل، ويديرها الآن والده الدّكتور أحمد أبوبكر أباجَي؛ وهو الّذي تفكّر في تطوير الكليّة من أسلوبها القديم – في صورة الدّهليز– حتّى أصبحت كليّة ثانويّة حديثة، تم اختيار الأستاذ محمد الجامع أسَليجَو (الإلَورِي) وكيلاً لها بين ٢٠٠٨-٢٠١٠م، ومساعداً بكلية دار التربية للدكتور عبد الواحد علي أَدَيْيِسِي لتعليم زملاء فوج الشاعر. ويُعتبَر ذلك الوكيل المدرّسَ الأول لمواد النّحو والصّرف والنصوص والأدب والعروض ومتون اللّغة والبلاغة – بالمناهج الحديثة — للفوج الأول والفوج الثاني (للشاعر) حين تم توظيف الأستاذ محمد الجامع أوبَولَو (الغَماوي) مدرِّسا ونائبا عن الوكيل، وذلك قبل التطوير بالزي المدرسي، وقد انتصفت المدة الدراسية لفوج الشاعر قبل اقتضاءِ ذلك الأسلوب الجديد حملَهم إلى جدران الفصول مع استعمال الزي المدرسي في أواخر عام ٢٠١٠م، وانضم إلى كلتا الكليتين فصلانِ آخرانِ يتوسطهما فصل الشاعر بدار السلام وفصل زملائه بدار التربية، لكون ذينِك الفصلين جامعَين للوافدين من الصف الثالث الإعدادي والجُدُد الملتحقين بالصف الأول

الإعدادي، قدَّر الله أن يبقى الوكيل مدرّساً لجميع تلك الفصول بكليّة دار السلام التي خرَّجت الشاعر، وأختها كليَّة دار التربية إلى عام ٢٠١١م (أسَلَيجَو- الإلَورِي، ٢٠٢٤م: مقابلة شخصية)، ونائبه إلى عام ٢٠٢٠م (أوبَولَو- الغماوِي، ٢٠٢٤م: مقابلة شخصية)، ولا تزال كلتا الكليتين بيئة مهيئة لتنافس الشّعراء من الشّباب النّابغين النّشيطين المتأثّرين بتوجيه المديرين الدكتور أحمد أباجَي والدكتور عبد الواحد أدّيبِسِي، كما يصدق كل ذلك في شخصيّة الشاعر.

والجامعة الإسلامية، ساي – النّيجر من ظواهر مزاجه، والّتي ساعدت في إبراز الأصالة في الشّاعر، وذلك من حيث امتزاجه بالعرب والمستعربين من شتّى الدول الإسلاميّة والمستعربة، وهم حملة اللّغة العربيّة وعملاؤها من الطُّلاب الذين أتوا من غانا والسّنغال وساحل العاج والسّودان وليبيا. وكذلك معهد الدّوحة للدّراسات العليا بجامعة قطر حيث التقى بعباقرة اللغة ومعلّمي آدابها عندما كان طالب الماجستير في التاريخ، واستفاد منهم ذروة الأفكار وسنامها، ممّا ساعده على إعمال الفكرة وروعة الأسلوب، فكوّن لنفسه الهمّة الكبرى والعقليّة النّاتجة لغلظة القراءة والمطالعة والانكباب على البحث الدائم. ففي تينِكَ الجامعتين أسهَمَ كعضوٍ مؤسّسٍ في نادي الأدب، وشارك في مسابقة شاعر اليَورُبا (الجامعة الإسلامية بالنّيجر)، ومسابقة شاعر الجامعات (جامعة قطر)، وله في كلّها القدح المعلّى؛ الأمر الّذي جعله عضوا مؤسّسا في نادي الأدب في نيجيريا، وعضوا مؤسّسا في صالون النهضة الأدبيّة الجنوبيّة في نيجيريا فيما بعدُ. ولا يزال طالب ماجستير الأدب العربي في جامعة ولاية بَوتْشِي، غَطَو، نيجيريا ليحصِّل تجارب الأكاديميَّة بدولة نيجيريا (أباجَي، ٢٠٢٤م: ص ٩٠-٩١).

والعامل الثّقافي يتمثّل في الملكة اللّغوية والمقدرة الفنية من موهبة الشّاعر الفذّة التي منحتْه جولتَه الفكريّة وفطرتَه الإبداعية، إضافةً إلى عكوفه على دواوين الشّعراء القدامى والمحدثين، واطلاعه المكثّف على الثّقافات العالميّة المتنوّعة من خلال جولاته العلميّة خارج بلاد نيجيريا وإلى شمالها من الجنوب، فأصبح فحْلا مشهوراً في نوادي الشّعر، لا في نيجيريا فحسب، بل في بعض دول أفريقيا وآسيا مثل النّيجر وقطر.

٣,٣. التجربة الشعرية في ديوان "كأنّها حروف شريدة "

تكون دراسة التجربة الشعرية بالمقاييس الشعورية والتعبيرية. ويراد بالتجربة الشعرية لدى الشاعر أحاسيسه ومشاعره التي أبدع فيها إبداعا مرهفا لإمكان تلقي قراء رسالته الشعرية في واقع ذاته وأمته، بإعانة الصياغة اللفظية والتركيبية، وجودة الخيال وروعة الموسيقى. وأما التجربة التعبيرية فهي عبارة عن قدرات الشاعر ومزاياه في التعبير، لإظهار الشفافية نصاعة وجمالا؛ من دلالة الألفاظ وتنسيق التراكيب ومراعاة الوضوح والقوة والجمال باستخدام أساليب البلاغة الجيدة.

٣,٣,١. من حيث الموضوع

يحتوي الدّيوان على واحدة وعشرين (٢١) قصيدة، سجّل فيها الشّاعر مشاعره وخواطره الشّخصيّة وانطباعاته حول قضايا الوطنيّة والإنسانية والأخلاقيّة قرابةَ عقدٍ من الزّمن (بين ٢٠١٥ – ٢٠٢٤م)، متناولاً حوالي ستّة موضوعاتٍ يتصدرها المدح والتّهنئة بست قصائد، يليه الحنين والذكرى بأربع، وصنوه الإنسانيةُ بأربعٍ أخرى، ثمّ الأخلاقيّة بثلاثٍ، ثمّ الوطنيّة النّيجيريّة بقصيدتين، فالشكوى والعتاب بأخريَيْن. وجميع تلك الموضوعات تدلّ على المقدرة الوصفية التي يمتلكها الشّاعر بوصف محاسن النّاس مدحا وتهنئةً، ووصف مساوئهم عتاباً وشكوى، ووصف حسن المعاملة حنيناً وذكرىً، ووصف أمجاد البلاد وتحدّياتها وطنيّةً، ووصف المعالي اللائقةِ بالمواطنين مواكبتُها إنسانيّةً، ووصف الفضائل الّتي تؤدّي إلى المصالح أخلاقيّةً. والنّظرة التأمليّة في كل ذلك تكشف عمّا يتمتّع به الشّاعر من قدرة واعية عالية على البيان والتّوضيح، إذ يدور معظمها حول المعنويّات ممّا ينبئ بولوعه بالوصف الوجداني الّذي يرفع كعب الشّاعر في دنيا الشّعر.

فالحنين والذّكرى لتصوير المعاملة الطيبة بين الشّاعر ومعاريفه من الأسرة والأصدقاء والمواطنين قبل تغربه عنهم وعن البلاد لتحصيل العلم. ويدل على ذلك قصائده: في حنايا الذكريات، وابن السبيل، ووطني، ودولتي تيَمَتْني. والوطنيّة النيجيرية لتذكرة المواطنين بتاريخهم المجيد وتحريضهم على التشجع لاسترداده كما نلمسها في قصيدتيه: أمّة التاريخ، والشعب الأخرس. والأخلاقيّة لدعوة المواطنين في البلاد والمهاجِر إلى الانضباط بارتداء التواضع والأمانة وتجنب زِينَوفوبِيا كما نجدها في عناوين بعض القصائد. والإنسانيّة توجيه إلى المثاليّة الّتي تُبقِي القائمَ بتوطيدها من فاعلية الأخلاق والثقافات كما تُقِرُّها القصائد: اصنع التاريخ، وعلى جناح العلا، وحقّق لنفسك، والجمع أنفع للفتى. والشكوى والعتاب لوصف الحالة الممقوتة وإنكار نسبة الظلم إلى غير أهله كما نجدها في قصيدتيه: قطرة من الدمع، وقنبلة فتّاكة. وأمّا المدح والتّهنئة فهو لتقدير معالي الشخصيات ومشاطرتهم في عواطفهم السّارة مثل ما نجده في قصائده: السيّد الكريم، وباقة ألوان، وزينة الدين، ودفقات شعري، وفي يوم عيدك، ونفحات معطّرة.

٣,٣,٢. من الناحية الفنيّة

إنّ النّظرة الحصيفة في الدّيوان تكشف عن تجارب الشاعر النّابضة بالحياة، والتي تمّت صياغتها من العقل والنّفس لكونها أحداثا وجدانيّة وعقليّة، فأصبحت قصائدَ كاملةَ النضج واضحةَ المعالم متميّزةَ الخصائص، لا يمكن من خلال قراءتها التعرُّف على أصالة صاحبها الأعجميّة، الأمر الذي يُقِرُّ حظَّ الشّاعر الوفيرَ من التجربة الشعرية والقيم الشعوريّة والتّعبيرية.

فالتّجربة الشعريّة تكمن في جعل الشاعر كلَّ قصيدةٍ منه متماسكةَ الهيكل ومتناسقةَ الأبيات حتى نشعر بأننا في حدث وجداني واحدٍ في موسيقى منسجمة موضحة بشتّى الصور والأساليب، فلنسمعه في قصيدته " قطرة من الدمع" حيث يصف أحوال الإنسان المتعدّدة في مضارعة الحزن كموضوعٍ واحدٍ له مكوّناته، فهو يقول:

سل عن الوجد سل عن التمتمات ** وعن المبكيات لا المضحكات
وسل الدّمع هل توقّف يوما ** وعن الوجه ما عرى البسمات
وسل النّفس عن أنينِ فؤادٍ ** فضّل النأيَ فاصطفى الحلوات
وسل الدّهر عن مواجع قلبٍ ** أنبتت في رياضها همهمات
أنا والحزن دائما معنيان ** في وجودٍ يوزّع اللعنات
كابن موسى الأسى وأيوب ضرٍّ ** صالح الهمّ يوسف اللّوعات
(أباجَي، ٢٠٢٤م: ص ٤١-٤٢)

فتلك الحالات التي يجد الحزين نفسه ضارعا لها، وهي متعددة على هدى طَوال الحزن وفاعليّته فيه؛ فنحن نراها مذكورة بمنتهى الوحدة العضويّة وغاية الوحدة الموضوعيّة، أخذ فيها الشاعر مادّة الحزن بحذافيرها.

والقيم الشعوريّة تتميّز في الدّيوان بطابع شخصية الشاعر، وهي واردة من علاقته مع العالم والكون والأحداث والحوادث، فشعوره هادئ لطيف إذا مدح وهنّأ، وثائر متموّج إذا شكا وعاتب، ولذيذ مليح إذا حنَّ للذكرى، وإنساني شفوق إذا وجّه لحاجة إنسانية وأخلاقيّة ووطنيّة. ولنسمعه في قصيدة الأمانة حيث يقول:

عذراء تنبت في الربيع متى جرى ** دمع الفضائل في الكرام وأمطرا
ذات البهاء إذا ارتمت في روضةٍ ** غنَّاءَ، علَّمت الرياض تبختُرا
وإذا رماها الدّهر في مستنقعٍ ** قذرٍ تردَّت بغتةً لتُقبرَّا
تلك الأمانة شيمة ما حازها ** إلا كريمُ الأصل، أدّى الأمهُرا
هي قبّة خضراء تحضن كوثرا ** هل في المجاري ما يُداني الكوثرا

(أباجَي، ٢٠٢٤م: ص ٢٣)

فإنّه يشبّه الأمانة بنبتةٍ جديدةٍ نالت من الربيع ماء صافيا فتبقى في روضةٍ مساجلة ببهاءٍ حتّى تتجمل الروضة بكيانها فيها، وأمّا إذا أخطأها الحظ بأن وجدت نفسها في مستنقعٍ قذرٍ فإنّها تتردّى، يقصد الشّاعر بكل ذلك وضع الأمر في غير محلّه مما يفسد الأمانة ويجعلها ضائعة لا تودّى حقوقها إذ لم يتولَّ أمرَها الخبيرُ بها، بخلاف العكس حيث تصبح الأمانة باقية عاملة منمّية إذا تصدَّرَ لإدارتها الخبيرُ بها. وذلك تصوير رائع للأمانة وحالها عند من يمتلكها.

وأما القيم التّعبيريّة فإنّها تمثّل تخيرَ الشاعر للألفاظ الموحية بالدلالات والمقاصد من الدقة والحصافة. ونضرب لذلك مثلا امتلاء قصيدته: السيّد الكريم بألفاظ المدح الذي يعنى بوصف الفضائل، فمنها: الغيم، والبدور، والدّرُّ، والورد، والنُّور، والتودّد، والزّهر، والابتسام، والسؤدد إلخ، ممّا يوحي بالإيجابية في الأحوال والأخلاق، ومنها بعض الأبيات التالية:

إلى أن تحدَّى الغيمَ في وجهك الرِّفدُ ** إلى أن أشار الدّهـرُ أنَّـك ذو المجد
إلــى أن تــوارت فـي بـــدورك مسحةٌ ** من الدّرّ واختلّت على بِركة الورد
إلــى أن تــحلّـى نورُ وجهك بـــسمةً ** بها سال قـفرٌ مجدبٌ بـيّن البُعد
أتيــت وأبـــواب الـتّـودُّد لـــم تـزلْ ** تفتّحُ مثل الزَّهر في أخضب المهد
أتيــتك والأرجـاء جفّت بـمن حوت ** وتـبتســم الـدّنيا علـــى قدم الـعهد
فـــكـم نـزلت مِـن فِيكَ آيات سؤددٍ ** وكم هـلَّلت منك الوجـــوه بسرمد

(أباجَي، ٢٠٢٤م: ص ٢٩-٣١)

وروِيُّ القصيدة (حرف الدال) المجهور بقصد إعلان فضائل الممدوح، وفي القافية المطلقة لتوسع المعاني وورودها دون المضايقة. وذلك كله ناطق بشعور الشاعر الصادق والعميق والقوي من إيقاعات الوزن الجيّاشة.

وأمّا خيال الشاعر في الدّيوان فظاهرٌ فيما وشّى به عباراته ممّا يدرَك بالبصر أو السّمع أو اللمس، وما يصوغه بضروب التشبيه والمجاز والاستعارة، حتّى يبدو في التصوير والتشخيص والتجسيد؛ ومن الخيال البصري قوله في قصيدته "حنايا الذّكريات":

ريح تبيع مواويل النسيم صدى ** للعابرين على هذي الرمال مدى
المثقلون بـعبء المرجفين مـتى ** استسْقوا تسربل هذا الموج والْتَبَدا

(أباجَي، ٢٠٢٤م: ص ٢٠)

ومن خياله الذي يدرَك باللمس قوله في قصيدته "صنع التاريخ" حيث يقول:

من قبلُ ألتقط التاريخ والأمـما ** وقد عزمت على أنْ أحْيِيَ الرِّمما
لا بحر إلا وقد نادمتُه فــعسى ** أن يحكيَ الطلَل الرمليّ والصّنما

(أباجَي، ٢٠٢٤م: ص ٤٥)

ومن الخيال السمعي الذي يعجب المتلقّين مطاردة الأشباح كما ذكرها الشاعر في قصيدته "أين السبيل":

أين السبيل إلى أهلـي ودونهمو ** دمعي إذا هاجت الأشواق يلـتطم
أين السبـيل وأشبـاحي تطاردني ** فـي الذكريات وهـذا الطفـل ينفطم
أين السبيل وقد ضاقت مسالكنا ** إلى الوجـوخ التي بالـحبّ تبتسم

(أباجَي، ٢٠٢٤م: ص ٥٤)

ومن نماذج التشخيص والتجسيد تشبيهه لكلية دار السلام بقصيدته "زينة الدين":

هي في الحسن ربة الخـلـخال ** زيـنـة الدين آية الأجيال

جنّة الخلد يستقي بحماها ** كوثرا نشرها مريح البال
حيّرتْني عيونُها وسبتْني ** في الهوى بالقناص والسلسال
حضنتْني وخامرتْني ومالي ** غيرُها ذات ملحة ودلال
(أباجَي، ٢٠٢٤م: ص ٦٥)

وهناك نماذج أخرى تُظهِرُ ولوعَ الشاعر بالتضمين والاقتباس وأساليب الطلب، وبراعة الاستهلال والتخييل، ممّا يوحي بدقة الاختيار وجودة التعبير وروعة التصوير وحسن جرس الموسيقى لإقرار ملكة الشاعر اللغوية ومقدرته الفنيّة؛ فهو واقف بين التقليد والجديد دون التناقض، إذ ولَّدَ الثانيَ من الأول؛ فهو حاذق بصير مستنير في التقليد، وواعٍ حداثي في التجديد، كما يبدو في الشكل والمضمون، وأرجو أن الشاعر سيكون موضعَ اهتمام الباحثين العرب والعجم من المعاصرين واللاحقين دراسة وترجمة، والله على ما نقول وكيل.

٤. الخاتمة

تحقق من خلال البحث أن التجربة الشعرية موهبة وتطوير للشاعرية، يُحتاج فيها إلى اكتساب ملكات وقدرات يحسن توظيفها لرفع منزلة الشعر من قِبَل الشاعر. وقد تمّ إطلالٌ على كل ذلك في تعريفات التجربة الشعرية وأقوال النقاد فيها ومواقفهم منها. وقد توصل البحث إلى نتائج منها:

١- أن التجربة الشعرية عبارة عن أفكار القصيدة وعواطفها وأخيلتها وموسيقاها، ثم أساليب اختيار ألفاظها وتنسيق معانيها على موهبة واكتساب من الشاعر.

٢- وأن الشاعر أبابكر أحمد أباجَي شخصية شعرية كبيرة معتبَرة، لكثرة قصائده وتناوله فيها لشتى قضايا الحياة التي لها علاقات بالثقافة والمجتمع والاقتصاد والسياسة.

٣- وأن الشاعر أبابكر أحمد أباجَي تناول شعرُه عديدا من التجارب، وقد اختار منها هذا البحث تجربة الحنين والذّكرى وتجربةالأخلاقيّة والإنسانيّة، وتجربة الشكوى والعتاب، وتجربة العلاقات الإنسانية بالمدح والتّهنئة.

وفي الأخير، يمكن إقرار المقالة بأن أبوبكر أحمد أباجَي شاعر كبير معتبَر، لا في نيجيريا فحسب، بل في غرب أفريقيا خاصة والعالم العربي الإسلامي عامة، إذ قد نالت أعماله الشعرية عناية الدارسين، فلا بدّ من دراسة مجموعة أعماله الشعرية بالنظريات اللغوية — بالإضافة إلى الدراسات الأدبية- لتكملة دراساتها النقدية، وعلى الله قصد السبيل.

المصادر والمراجع

أباجَي، أبوبكر أحمد، ديوان كأنها حروف شريدة، الجودة للتصميم والطباعة، بِرْنِنْ كَبِّ- نيجيريا، ط١، ٢٠٢٤م.
أباجَي، أبوبكر أحمد، مقابلة شخصية، ١٥-سبتمبر-٢٠٢٥م.
أبو العينين، محمود، التجربة الشعرية، د.مط، د،ت، ص٣.
أسَلَيجَو- الإلَورِي، الأستاذ محمد الجامع، مقابلة شخصية، ٣-يونيو-٢٠٢٤م.
أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م.
أوبَولَو- الغماوِي، الأستاذ محمد الجامع، مقابلة شخصية، ١-يونيو-٢٠٢٤م.
بَودَوفُو، خليل الله محمد عثمان، "صور من أساليب التجربة الشعرية في الشعر العربي النيجيري"، مجلة أينغبا للدراسات العربية والإسلامية، جامعة ولاية كوغي، أينغبا — نيجيريا، ٢٠٠٧م.

خلف، ساجدة عبد الكريم، التجربة الشعرية من الرؤية إلى الموضوع: بحث في نماذج شعرية منتخبة، د.مط، ، ٢٠١٥م.

عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني الهجري إلى القرن الثامن الهجري، درا الثقافة، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م.

مصطفى، محمد طيب، التجربة الشعرية في ديوان نغمات الطار للشيخ محمد الناصر كبر: دراسة نقدية، بحث الدكتوراه بقسم اللغة العربية، جامعة إلورن، إلورن – نيجيريا، ٢٠٢٣م.

هلال، محمد عنيمي، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م.